



كحيوان مسحور ينهش الأسد لحم السوريين ويدك مدنهم وقرابهم بأعنتى القذائف وأكثرها تدميرا في سعي محموم وبائس لإخماد نيران الغضب الشعبي المتراكם عبر عقود من الكبت والقهر والاستلاب.

خلال ما يقارب العامين جرب هذا النظام المافيوسي كل الوسائل القدرة والأدوات الفتاكه لإسكات صرخة الحرية دون جدوى...

وبعد أن توجت بالفشل كل جهوده ومساعيه لتفجير صراع طائفي في البلد يصور به الثورة كأنها مجرد احتراب طائفي أو إثنى أو مذهبى ، ويصور بها نفسه كحام لأقليات دينية أو مذهبية تتعرض للاضطهاد على يد أغلبية سنية سلفية متطرفة .. إلا أن تراكم حالات الفشل التي منيت بها مساعي تلك العصابة لتحقيق هذا الهدف وشعوره أن سلوكه ما يزال يحظى بحماية دولية من بعض القوى النافذة عالميا وإدراكه من خلال سنة ونصف من الصمت والتعامي الدوليين عما يرتكبه من فظاعات بحق الشعب السوري، كل ذلك شجعه للمضي قدما بتنفيذ ما كان سبق أن لوح به في وجه هذا العالم المتراخي عن نصرة السوريين بإشعال المنطقة من حوله لأنه لن يقبل أن يسقط وحيدا ويترك للآخرين فرصة مراقبة هذا السقوط ومنتعة الاحتفال به بلا ثمن.

فليس من قبيل الصدفة أن يتم استهداف العقيد الشهيد وسام الحسن بالاغتيال وهو العقل الأمني الذي أفشل معظم الاختراقات الأمنية التي حاولت المس بالسلم الأهلي اللبناني ولعل آخرها ما عرف بقضية ميشيل سماحة والتي لم يعرها العالم (ويا للغرابة) مايتعين عليه أن يعيدها من اهتمام لخطورتها على السلم الأهلي اللبناني والأمن الاقليمي.

وليس صدفة أيضا أن تعلن الحكومة الأردنية عن ضبط مجموعة إرهابية كانت تحاول تنفيذ تفجيرات في العاصمة عمان تستهدف أماكن حساسة وتجمعات بشرية بهدف إحداث أكبر ضرر وأذى من شأنه خلق قلاقل داخل الأردن في ظل حال احتقان سياسي بين الحكومة والمعارضة الأردنية.

وليس صدفة أيضا ما تسرب عن سلطات محافظة الأنبار المحلية العراقية ونشرته اليوم جريدة السياسة الكويتية عن ضبط مجموعة إرهابية من بقايا العبيدين العراقيين يترأسهم ضابط استخبارات سوري ينتحل صفة تاجر حاولت اغتيال زعماء عشائر وقادة من قوات الصحة وتنفيذ تفجيرات كبيرة لترويع السكان في تلك المنطقة على خلفية دعمهم للثورة

وفي ذات السياق يأتي دعم تلك العصابة لمرتزقة حزب العمال الكردستاني في سوريا ليشكل شوكة على الخاصرة التركية السورية التي دأب النظام على القيام من خلالها باحتكاكات عسكرية محدودة في محاولة لتأليب الرأي العام التركي ضد حكومته الداعمة للثورة السورية.

هي إذا المحاولات التي يسعى ذلك النظام العاهر للهروب بها ومن خلالها للأمام من أزمته مع شعبه التائر الذي لم بعد يقبل بأقل من زوال هذه العصابة ومحاسبة رموزها على كل الفجور والعنف والنهب والإجرام الذي مارسه بحقه. فهذه العصابة لم تعد ترى مخرجا لها من أزمتها إلا إشعال اللهيب في المحيط الإقليمي.

وهو ما يرتب على دول المنطقة أولاً أن تدرك أن اللهيب وصل إلى ذيل أثوابها، وأن سياسة الفرجة والنأي بالنفس عن الهولوكوست السوري ليست الخيار الأمثل لها... فهذا السعار الذي أصيب به النظام السوري سيكلف المنطقة كلها أمنها واستقرارها ولم يعد من الجائز استمرار السكوت عنه.

إن صمت المجتمع الدولي وتخاذله إزاء ما يحصل في سوريا وبقائه على موقف المراقب المتعاجز عن الفعل، شجع هذا النظام ليس فقط على ارتكاب أشنع الفظاعات بحق السوريين، وإنما أيضاً دفعه للعبث بالأمن الإقليمي والسلم العالمي.. ما يوجب على القوى العالمية الفاعلة الانتقال إلى طور الفعل الحازم الذي يكفل وضع حد نهائي لهذا الثور الهائج في هذا الإقليم الخذلي.

إن تقديم عون حقيقي وفاعل لقوى التغيير في سوريا ودعمها بالمال والسلاح لدعيم قدراتها الإغاثية والقتالية كفيل بتحقيق المراد، ولا يجوز في هذا المقام التعلل بتسرب قوى راديكالية إسلامية متطرفة إلى الداخل السوري لحجب هذا الدعم... ذلك أن هذه القوى بالرغم من محدودية وجودها - إلى الآن - ما كانت لتتسرب إلى سوريا لو لا هذا التخاذل العالمي عن نصرة السوريين بل إن إبقاء هذا الجرح السوري مفتوحاً من شأنه أن يستجلب كل أنواع البكتيريا والجرائم التي تجد في هذا الجرح حاضناً مناسباً لها.

الشعب السوري مأيذل معتدلاً في سلوكه ورؤاه.. وماتزال قواه السياسية بمختلف أطيافها وأدواتها مرنّة ومعتدلة ولا ترى إلا في الدولة المدنية حاضناً طبيعياً ينمو فيه كل السوريين على مختلف أديانهم ومذاهبهم وأعراقيهم كمواطنين أحجار يمتنعون بحقوق متساوية.. فلا تتوانوا عن نصرته ودعم ثورته وتشجيعه للانتقال إلى صفة الديمقراطية والدولة المدنية.. لأن ذلك هو الخيار الأمثل والصحيح ليس فقط لتفويض بناء التطرف في المنطقة وإنما أيضاً لتحقيق الأمن والاستقرار والسلام فيها.

لتأمل أخيراً ما فاض به خاطر المفكر التنويري عبد الرحمن الكواكبي عندما صور لنا النزع الأخير لدولة الاستبداد قائلاً: ((إن فناء دولة الاستبداد لا يصيب المستبدین وحدهم بل يشمل الدمار الأرض والناس والديار، لأن دولة الاستبداد في مراحلها الأخيرة تضرب ضرب عشواء كثور هائج أو مثل فيل ثائر في مصنع فخار وتحطم نفسها وأهلهَا وبلدَهَا قبل أن تستسلم للزوال...))

فهل من يوقف هذا الثور الهائج في دمشق؟ .